المنار في مصطلح التكرار– قراءة دلالية بلاغية–

د. عمر بوقمرة جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

الملخص: التكرار من أهم وأكثر المصطلحات البلاغية التي شغلت حيزا واسعا من بحوث البلاغيين والدلاليين والأسلوبيين واللسانيين؛ وذلك لمكانته من الإعجاز القرآني. وهذا البحث يجتهد في الإجابة عن جملة من الأسئلة من قبيل :ما التكرار؟ وما الفرق بينه وبين مصطلح التكرير؟ وما أنواعه المفيد منها وغير المفيد؟وما موقعه من علوم البلاغة الثلاث؟ تلك جملة من الأسئلة نجتهد في الإجابة عنها مستعينين بالمنهج الوصفي لمناسبته لطبيعة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: التكرار، الإطناب، البلاغة ؛ المصطلح، الدلالة.

Abstract: Repetition is one of the most important and most rhetorical terms that have occupied a wide area of research rhetoric, semantic, stylistic and linguistic; This research aims to answer a number of questions such as: What is repetition? What is the difference between both terms Tikrar and Takrir? What kinds of useful and unhelpful? These are a number of questions we aims to answer using the descriptive approach because it is appropriate the nature of the study.

Keywords: repetition, redundancy, rhetoric; term, significance.

مقدمة: المصطلح مفتاح باب العلوم منه الموج ومنه المخرج، وبدونه تبقى العلوم مستغلقة على الفهم والإفهام، فلكل علم مصطلحاته، بل ولكل مصطلح مرادفاته، وإذا لم تتمايز الحدود الدلالية بين العلوم أولا، ثم بين مصطلحات كل علم ثانيا حدثت فوضى المصطلح وسوء الفهم؛ ومن هنا كان لزاما على الباحثين في أي

مجال معرفي التأسيس لبحوثهم بالضبط المصطلحي والدلالي؛ ليكونا طليعة وأمانا من سوء الفهم.

التكرير لغة: التكرير مصدر صريح من الفعل المشدد العين، أما التكرار بفتح الراء فهو مصدر على وزن(تَفْعَال) بفتح التاء، يعني الترداد والترجيع، جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (كرر) مايلي: التكرار بفتح الراء: الترداد والترجيع، من كرّ يكرّ ،وكرّا وتكريرا، وتَكرارا، والكر الرجوع على الشيء، ومنه التكرار وكرّر الشيء، وكرّره أعاده مرة بعد أخرى، ويقال كرّرت عليه الحديث وكرّرته إذا ردّدته عليه"[1].

وجاء في المعجم الوسيط:" كرّر الشيء تكريرا تَكرارا: أعاده مرة بعد أخرى، وتكرّر عليه كذا:أعيد عليه مرة بعد أخرى"[2].

وقد اختلف في مصدر اشتقاق صيغة تَفعال، فذهب البصريون إلى أنها اشتقت من (فَعَلَ) المخفف العين، وجيء بالمصدر على ذلك الوزن للتكثير. أما الكوفيون فقالوا بأنها مشتقة من (فَعَّلَ)المشدد العين لإفادة التكثير أيضا، وتاء تكرار ليس فيها إلا الفتح، ولم يجئ فيها الكسر إلا في حرفين هما: التِّبيان والتِّلقاء، وذلك من الشذوذ؛ " لأن المصادر إنما تجيء على التَّفعال بفتح التاء، مثل التَّذكار، والتَّكرار، والتَّوكاف. ولم يجئ بالكسر إلا حرفان هما: التبيان، التلقاء"[3]. وعليه فلا يجوز القياس عليهما.

وإذا كان مصطلح التّكرير في اللغة يعني الترديد والإعادة، فما مفهومه العرفي عند البلاغيين؟

التّكرير اصطلاحا: وردت تعريفات للتَّكرار منها:

– تعريف ابن الأثير(ت630هـ) يقول فيه:" هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا، كقولك لمن تستدعيه:أسرع أسرع، فإن المعنى مُرَّدد واللفظ واحد"[4].

– تعريف الشريف الجرجاني(ت816هـ) يقول فيه:"عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد مرة"[5].

– وعرفه السيوطي (ت911هـ)بقوله:" ومن سنن العرب التكرير والإعادة، إرادةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر. قال الحارث بن عباد:

قَرِّبَا مربَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقحَتْ حربُ وائلٍ عن حيالِ

فكرر قوله" قَرِّبَا مربَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي" في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر وإرادة الإبلاغ في التنبيه والتحذير"[6].

إن المتأمل لهذه التعريفات يجدها قد نسجت مفهوم التكرير على المعنى اللغوي، وهذا أمر مألوف عند علماء المصطلح؛ حتى إنهم ليشترطون بقاء تلك القرابة وإن تباعد المفهومان، والأهم من هذا أنها كلها تؤكد أن التكرار ظاهرة من ظواهر اللسان العربي بل كل الألسنة، ويكون على المستويين الإفرادي والتركيبي، وقد يظن أن ابن الأثير قصد في تعريفه المستوى الإفرادي بقوله(فإن المعنى مُرَّدد واللفظ واحد)، وهذا غير صحيح لأمرين اثنين هما:

– **أولهما**: أن المثال الذي أورده هو جملة وليس كلمة مفردة، فأسرع: فعل أمر وفاعله ضمير مستتر وجوبا تقديرة أنت.

– **ثانيهما**: أن اللفظ في المعنى الاصطلاحي عند النحاة هو:" جنس يشمل الكلام والكلمة والكلِم، ويشمل المهمل كـ"ديز"، والمستعمل كـ"عمرو". أما الكلمة فـ"هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد"[7]. فليست الكلمة المفردة إلا نوعا من أنواع اللفظ؛ وبذلك يتأكد أن التكرار يكون في اللفظ المفرد وفي اللفظ المركب.

أنواع التكرير: قسم ابن الأثير الحلبي التكرار إلى قسمين هما:

– **الأول**: يوجد في اللفظ والمعنى، مثل:"أسرع أسرع".

– **الثاني:** يوجد في المعنى دون اللفظ، مثل:"أطعني ولا تعصني" فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية"[8].

وكل منهما ينقسم إلى مفيد وغير مفيد؛ ولا يقصد بالإفادة هنا ما يعنيه النحاة، وإنما مايعنيه البلاغيون؛ فإن الإفادة عند النحاة تعني الكلام المركب الذي يحسن السكوت عنه، لإفادته معنى ما. أما الإفادة عند البلاغيين فهي فوق ذلك إنها تعني المعنى البلاغي الزائد على المعنى النحوي الأساسي، فصار عندنا معنيان معنى نحوي أساسي طِلبة النحويين، ومعنى مقامي بلاغي طِلبة البلاغيين، وهذا هو المرَاد هنا.

التكرير في اللفظ والمعنى:أي التكرير اللفظي، وهو قسمان:

التكرير المفيد: وينقسم بدورة إلى قسمين:

الأول: ما يتكرر لفظه ومعناه مختلف: ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[9]، فيها تكرير في اللفظ والمعنى بين قوله:﴿ يُحِقَّ جم﴾، وقوله: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾، فالأول تمييز بين الإرادتين لبيان إرادته، والثاني لبيان غرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غير ذات الشوكة (العير وما عليها من أموال)، وأنه ما نصرهم وخذل المشركين إلا لبيان هذا الغرض، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ قُلْ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾[10]، معناه " لا أعبد في المستقبل ما تعبدون أنتم الآن، ولا أنتم تعبدون في المستقبل ما أنا عابد له، ولا أعبد قط آلهتكم حتى أكون الآن عابدا لما تعبدون، ولا أنتم عبدتم قط إلهي حتى تكونوا الآن له عابدين"[11].

ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾، وقوله:﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ ﴾[12]، فكرر بلغن لاختلاف البلوغين[13]؛ فالبلوغ الأول معناه: إذا قاربت (شارفت)المرأة على انتهاء عدتها، ولم يبق منها إلا مقدار المراجعة، فيجب عليه إما المراجعة بمعروف أو الفراق بمعروف. وأما البلوغ الثاني فمعناه إذا انقضت(انتهت) عدتها ، وأراد زوجها مراجعتها فلا يجوز لأولياء المرأة منعها من ذلك إذا كانت راغبة في الرجوع[14]. فالبلوغ الأول معناه المقاربة على الانتهاء، والبلوغ الثاني معناه الانتهاء.

الثاني: مايتكرر لفظه ومعناه متحد:أما مايتكرر لفظه ومعناه متحد، فمنه قوله تعالى:﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾[15]، تأكيدا للإنذار، وفي ثُمَّ دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ وأوقع[16]، وقوله تعالى:﴿ فَقُتِلَ

كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[17]، فـ"التكرير دلالة التعجب من تقديره، وإصابته الغرض، وهذا كما يقال: قتله الله ما أشجعه! أو ما أشعره !

ومنه قول الشاعر:

ألاَ يااسْلمِي ثم اسْلَمِي ثُمَّتَ اسْلمِي ثلاثُ تحياتٍ وإن لمْ تَكَلَّمِي

وكل هذا مبالغة في الدعاء لها بالسلامة؛ جيء به لتقرير المعنى وإثباته.

ومنه قوله – عليه الصلاة والسلام — في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن المسور بن مخرمة– رضي الله عنه– :" إن بني هاشم بن المغيرة سألوني أن يُنكحوا ابنتهم عليا، فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يطلق علي ابنتي وينكح ابنتهم"، فقوله"فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن"هو من التكرير الذي هو أبلغ وأكثر وقعا من الإيجاز؛ لاتجاه العناية إلى تأكيد الكلام في منع علي –رضي الله عنه– من الزواج بابنة أبي جهل بن هشام[18].

التكرير غير المفيد: وهو الذي يكون وجوده وعدمه سواء؛ لأنه جاء لمعنى واحد فقط. ومن الأمثلة التي أوردها ابن الأثير نماذج لهذا النوع، مايلي:

قول المتنبي:

ولمْ أرَ مثلَ جيرانِي ومِثلِي لمثلِي عندَ مثلهِم مُقَامُ

والمعنى: لم أر مثل جيراني في سوء الجوار، وقلة مراعاة حق الجار، ولم أر مثلي في صبري على أذاهم والإقامة معهم، فكرر هذا المعنى في البيت مرتين.

وقوله(المتنبي) أيضا:

فقَلْقَلْتُ بالهمِّ الذي قَلْقَلَ الحشَا قَلاقلَ عيسٍ كلهُنَّ قلاقلُ

كرر القلقلة والقلاقل أربع مرات، ولهن معنى واحد لا غير؛ وهو الحركة، فكأنه يقول:": وحركت بالهم الذي حرك الحشا نوقا سراع الحركة كلهن متحركات"،

وقد أنكر الصاحب بن عباد على المتنبي هذا البيت لما فيه من التكرير غير المفيد ، وحاول الواحدي في شرحه لشعر المتنبي الاعتذار عنه، مستشهدا بجريان العادة بمثل ذلك عند الشعراء، وأنه ليس معيبا، ورجح ابن الأثير مذهب الصاحب بن عباد قائلا:"وهذا من أقبح مايكون في التكرار"[19]. وقال ابن القيم:" والصحيح أنه مستثقل، وأخطأ الواحدي في الاعتذار عنه"[20].

وقول مروان الأصغر:

سقَى اللهُ نجدًا والسلامُ على نجدٍ ويا حبذا نجدٌ على النأيِ والبُعـــدِ

نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونَهـــــا لعلي أرى نجدًا وهيهاتَ من نجدِ

حيث كرر في البيت الأول كلمة "نجد" ثلاث مرات، وفي البيت الثاني ثلاث مرات، ومراده في الأول الثناء على نجد، وفي الثاني تلفت إليها ناظرا من بغداد، وهذا المعنى لايحتاج لمثل هذا التكرير، وكان بإمكانه صياغة المعنى الوارد في البيتين معا دون حاجة لهذا التكرار المتوالي ست مرات، وهذا من العِيِّ والعجز.[21]

التكرير في المعنى دون اللفظ: أي التكرير المعنوي ، وهو ضربان: مفيد وغير مفيد:

التكرير المفيد: وينقسم بدوره إلى قسمين:

الأول:إذا كان التكرير يدل على معنيين مختلفين: وهو موضع من التكرير مشكل، لأنه يسبق إلى الفهم أنه تكرير يدل على معنى واحد، ومنه حديث حاطب بن أبي بلتعة في غزوة الفتح، وذاك أن النبي – صلى الله عليه وسلم– أمر علي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد — رضي الله عنهم – فقال: "اذهبوا إلى روضة خَاخ[22] فإن بها ظعينة[23] معها كتاب فأتوني به". قال علي – رضي الله عنه– : "فخرجنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، وإذا فيها الظعينة، فأخذنا الكتاب من

عِقاصها[24] وأتينا به رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض شأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– "، فقال له: ما هذا يا حاطب؟ فقال: "يا رسول الله لا تعجل عليَّ، إني كنت امرءا مُلصَقا في قريش، ولم أكن من أنفَسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام". فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : "إنه قد صدقكم".

فقوله: " ما فعلت ذلك كفرا ولا ارتداد عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام" من التكرير الحسن (المفيد)، وظنه بعض الجهال من التكرير غير المفيد، اعتقادا منهم أن الكفر والردة والرضا بالكفر بعد الإسلام سواء في الدلالة، وليس الأمر كذلك، فمعنى "وأنا كافر"، أي: باق على الكفر، ومعنى "و لا مرتدا"، أي: كفرت بعد إسلامي، ومعنى "و لا رضا بالكفر بعد الإسلام"، أي: ولا إيثار لجانب الكفار على جانب المسلمين، وهذا حسن في مكانه واقع في موقعه، والذي اقتضاه هو مقام الاعتذار والتنصل عما رمي به من الكفر والنفاق والردة عن الإسلام، وهو أمر عظيم اقتضى التكرار قصد تأكيد براءته وتقريرها.

ومن هذا الباب أيضا التكرير الدال على معنيين أحدهما خاص والآخر عام، كقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[25]، فالأمر بالمعروف خاص، والدعوة إلى الخير عام، فالخير أنواع كثيرة ومنها الأمر بالمعروف، وفائدة التكرار هنا

ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله، كقوله تعالى:﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[26]، وقوله تعال:﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴾[27].

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾[28]، فالجبال داخلة في جملة الأرض، ولكن لفظ الأرض عام، والجبال خاص، وفائدته(غرضه) البلاغية هنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليها، وتفخيم أمرها[29]. وقد نوّه ابن الأثير بهذا الضرب من التكرير، ودعا إلى معرفته والإحاطة به، وأكد أنه سبيل لحل كثير من مشكلات التكرير، على الرغم من وعورة مسلكه، ودقة مغزاه، فقال:" وهذا باب من تكرير المعاني وعر المسك، دقيق المغزى؛ وبه تحل مشكلات من التكرير فاعرفه"[30].

الثاني: إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد لا غير: وقد سبق مثال هذا النوع، كقولك:"أطعني ولا تعصني"؛ لأن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية، وإذا كان علماء أصول الفقه يقولون: "إن الأمر يدل على النهي عن الضد بطريق الالتزام والتضمن"[31]، فقولك: "أطعني" وحدها تستلزم وتتضمن النهي عن المعصية، فإذا أردفنا ذلك النهي عن المعصية لفظا "ولا تعصني" كمثالنا هذا، صار تكرار المعنى مرتين لا مرة، تارة باللزوم وأخرى باللفظ، وفائدة ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطَب، والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى إذا كان المراد به غرضا واحدا[32].

وقد ورد هذا النوع من التكرار في القرآن كثيرا،ومنه قوله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[33]، تكرر فيه العفو والصفح والمغفرة، وكلها بمعنى واحد، للزيادة والمبالغة في تحسين عفو الوالد عن ولده، والزوج عن زوجه. وقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[34]، فإن البث والحزن بمعنى واحد، ولكن لشدة مانزل به من الخطوب والكروب ناسب ذلك التكرار، كالآية السابقة.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾[35]، لأن العشرة هي ثلاثة وسبعة، ثم قال: ﴿ كَامِلَةٞۗ ﴾، وهذا توكيد ثالث، والمراد به إيجاب صوم الأيام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور، لا عند الوصول إلى البلد، كما هو مذهب بعض الفقهاء، ودليل هذا عند ابن الأثير أن الأمر إذا صدر من الآمر إلى المأمور بلفظ التكرار خاليا من القرائن المخرجة عن وصفه(أصله)، ولم يكن محددا بزمن(مؤقتا)؛ كان ذلك حثا على المبادرة إلى الامتثال على الفور. وقد أورد مثالا وحاور فيه المخالف قائلا:

فإذا قلتَ لشخص ما :" قم، قم، قم" فإنك تقصد بهذا اللفظ المكرر المبادرة إلى القيام في الحال. فإن قلتَ: الغرض من تكرير الأمر أن يتكرر في نفس المأمور أنه مطلوب منه القيام به، وليس الغرض الحث على المبادرة بتنفيذه وامتثاله.

قلتُ في الجواب:إن المرة الواحدة كافية لمعرفة المأمور ما أمر به، والزيادة على المرة الواحدة لا تخلو من أحد أمرين:إما أن تكون دالة على ما دلت عليه المرة الواحدة. وإما دالة على زيادة معنى لم تكن موجودة في المرة الواحدة؛ فإن كانت دالة على المرة الواحدة كان ذلك تطويلا في الكلام لا حاجة إليه، وقد ورد مثله في القرآن كثيرا، والتطويل عيب في الكلام، فاحش عند، الفصحاء والبلغاء، والقرآن كتاب البلاغة الأكبر معجز ببلاغته التي أعيت فصحاء العرب عن مجاراته، فكيف يكون فيه تطويل لا حاجة إليه؟

فلم يبق إلا القول بأن الزيادة تدل على معنى زائد عما دلت عليه المرة الواحدة، وهذا المعنى الزائد هو الحث على المبادرة إلى امتثال الأمر وتنفيذه[36].

التكرير غير المفيد: ومن ذلك قول ابن هانئ المغربي:

سارتْ بهِ صيغُ القصائدِ شرَّدًا فكأنمَا كانتْ صَبَا وقَبولاً

والمعنى كأنه قد قال:" فكأنما كانت صَبًا صَبًا"؛ لأن الصبا هي القبول[37]، فصار المعنى واحدا لا غير، وهذا أمر لا يخفى على خبير بتأليف الكلام. وعلى هذا النحو كلام الصابئ في كتاب استبطأ وصوله:" وصل كتابك بعد تأخير، وإبطاء، وانتظار له، واستبطاء" لأن التأخير والإبطاء بمعنى واحد[38].

وقد وقع في هذا النوع من التكرار خبط كبير بين علماء البيان؛ فأجازه أكثر العلماء، وقالوا: إن كانت الألفاظ مختلفة والمعنى واحدا فليس ذلك بمعيب. وقد ذهب فريق آخر –ومنهم ابن الأثير – إلى القول الثاني وهو أن ذلك يعاب على الناثر مطلقا إذا جاء لغير فائدة، ويعاب على الناظم (الشاعر) في موضع دون موضع؛ يعاب عليه استعماله في صدور الأبيات، ولا يعاب عليه استعماله في أعجاز الأبيات

لمكان القافية، لأنها تضطره[39] أحيانا لذلك، والمضطر يحل له ما لا يحل لغيره، كقول امرئ القيس في لاميته:

وهلْ ينعَمَنْ إلا سعيدٌ مخلدٌ قليلُ الهمومِ لايبيتُ بأوجالِ

فإذا كان قليل الهموم فإنه لا يبيت بأوجال، وهذا تكرير للمعنى، ومع ذلك فإنه ليس بمعيب؛ لأنه قافية[40].

وقد عدَّ رجاء عيد هذا التفريق تحكما من قبل هؤلاء البلاغيين، إذ لا ضابط في التفريق بين ما يقبلونه وبين ما يرفضونه من التكرير، وتعليلهم غير مستقيم، فهم يقبلونه في حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم– في وصف سيدنا يوسف – عليه الصلاة والسلام– :" الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم؛ يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم"، وقوله تعالى:﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[41]، ويردونه كما في الأمثلة السابقة، ومثل قول أبي نواس:

أقمْنَا بها يومًا ويومًا وثالثًا ويومًا له الترَّحلُ خامِسُ

وحجتهم أن التكرار هنا ليس وراءه فائدة، مغفلين المعنى الثاني (الفائدة) المستكن خلف التكرار، فالذي يعلق بنفس أبي نواس من إعادة كل يوم على حدة، كأنه استعادة وهمية ولذة متخيلة في تذكر كل يوم، وكأن كل يوم صار عالما مستقلا، أو حياة منفردة، لها لذتها ومتعتها ما جعل ذكرها منفردة حقا وواجبا.

ثم إن ادِّعاء الترادف التام بين لفظتي "الصَّبا" و"القَبول" غير مسلم به عند بعض البلاغيين، وإن رقت ودقت هذه الفوارق الدلالية، وقد ورد في شرح المرزوقي ما يلي: قيل في القبول إنها الصبا. وقال النضر بن شميل:القبول: ريح بين الصبا والجنوب. وقال ابن الأعرابي: القبول: ريح لينة لطيفة المس، تقبلها النفس، ومن ثم فلا وجه للاعتراض على أبي نواس والمتنبي وأضرابهما من الشعراء.

والخلاصة أن المفرقين بين النثر والنظم كابن الأثير وأمثاله لا يوافقون على مذهبهم في جواز هذا النوع من التكرار في حق الناظم لا في صدور الأبيات ولا في أعجازها، تماما مثل النثر، وهذه قاعدة عامة تنطبق على الشعر وعلى النثر إذا خلا التكرار فيهما من الفائدة؛ ومن ثم لا يوافقون أيضا على الأمثلة التي ساقوها للتكرار غير المفيد[42].

إن فكرة رجاء عيد بنيت على مبدأ عدم وجود ترادف تام وحقيقي بين الكلمات، وهي مسالة خلافية قديمة، ولكن يبدو أن المحدثين مالوا إلى ما خطه أبو هلال العسكري في بداية كتابه "الفروق في اللغة" بقوله:" ما رأيت نوعا من العلوم، وفنا من الآداب، إلا وقد صُنف فيه كتب تجمع أطرافه، وتنظم أصنافه،إلا الكلام في الفرق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها، نحو: العلم والمعرفة، والفطنة والذكاء، والإرادة والمشيئة، والغضب والسخط... وما شاكل ذلك، فإني رأيت في الفرق بين هذه المعاني وأشباهها كتابا يكفي الطالب، وينفع الراغب..."[43].

والأكيد أن أبا هلال يؤمن بالتقارب الدلالي، وهذا التقارب لايعني التطابق الدلالي التام الذي تنمحي معه الفوارق بين اللفظ واللفظ الآخر، بل تبقى مساحة دلالية فاصلة، وإن دقت ورقت، حتى لا يتفطن لها إلا بعد تمحيص وتدقيق. يقول محمد محمد داود: "يقرر علم اللغة الحديث أن وقوع الترادف في اللغة لايعني التساوي التام بين معنى مفردتين، وإنما يكون ذلك بمعنى تقارب الدلالة، فليس في اللغة لفظ ينوب عن آخر، أو يقوم مقامه إذا أردنا الدقة في التعبير، بل هناك مجموعة ألفاظ متقاربة الدلالة"[44].

وإذا أخذنا بهذه الفكرة كان مؤداها ألا وجود لهذا النوع من التكرير(التكرير غير المفيد)أصلا؛ لأنه إذا وجدت فوارق دلالية كان استعمال لفظ مختلف للدلالة على معنى مختلف ومن ثم تيقنا الفائدة.

موقع التكرار من دوائر البلاغة العربية: يقصد بالدوائر البلاغية علوم البلاغة الثلاثة(المعاني، البيان، البديع)؛ ذلك لأن بعض مباحث البلاغة وقع الاختلاف في تحديد موقعها من خارطة هذه العلوم، فنجد المبحث الواحد يدرجه بعضهم في علم المعاني، ويدرجه بعضهم الآخر في علم البديع، بل نجد أحيانا العالم الواحد يدرج الموضوع الواحد تارة في علم المعاني، وتارة أخرى في علم البديع، فمثلا السكاكي عالج الالتفات معالجة مفصلة في علم المعاني، ثم عدَّه بعد ذلك وجها من "الوجوه المخصوصة" التي ذيل بها كتابه، بعد أن فرغ من علمي المعاني والبيان، وقد صارت تلك الوجوه فيما بعد هي علم البديع، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن بعض أتباعه جعله أيضا من مباحث علم البيان[45].

وإذا رجعنا إلى التكرار المفيد وهو الذي من مباحث علم البلاغة، ألفيناه يندرج ضمن مبحث أوسع منه ألا وهو الإطناب، الذي هو أحد مباحث علم المعاني الأساسية. يقول ابن الأثير عن التكرار الذي يأتي لفائدة :" فأما الذي يأتي لفائدة فإنه جزء من الإطناب"[46]. فهو من ضروب الإطناب، أي جزء منه، وأحد أنواعه[47].

والملاحظ أن هناك مجموعة من المصطلحات تتداخل مع بعضها في هذا الموضع، وقد تنبه إليها ابن الأثير؛ فأشار إلى الفروق بينها، ولم يترك للتداخل منفذا، وهذه المصطلحات هي:التكرير، والإطناب، والتطويل. فالتكرير يتداخل مع هذين المصطلحين فإذا كان لفائدة فهو جزء من الإطناب، وعليه يمكن القول : إن كل

تكرير لفائدة فهو إطناب، وليس كل إطناب تكرير؛ لأنه أوسع منه إذ الإطناب يتضمن إضافة إلى التكرير لفائدة الإيضاح بعد الإيهام، ذكر الخاص بعد العام، وذكر العام بعد الخاص وغيرها. أما إذا كان التكرار لغير فائدة فإنه حينئذ جزء من التطويل، وهو أخص منه لأن كل تكرير لغير فائدة فهو تطويل، وليس كل تطويل تكرير لغير فائدة فبينهما عموم وخصوص[48].

أغراض الإطناب بالتكرير: أورد البلاغيون أغراضا كثيرة للتكرير نورد منها:

– تأكيد الإنذار: كقوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[49]، فالآية الأولى ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ فيها زجر وإنذار لمن ألهاهم التكاثر عن الدار الآخرة والسعي لها، والآية الثانية ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تأكيد لهذا الإنذار، وهذا هو غرض الإطناب بالتكرير في هذا الموطن وأمثاله.

– الحث على شكر نعمة من النعم: كقوله تعالى:﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[50]، التي كررت في السورة واحدا وثلاثين مرة باللفظ نفسه؛ حثا للجن والإنس على وجوب شكر نعم الله التي لا تعد ولا تحصى.

– التحسر: كقول الشاعر الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة:

فيا قبرَ معنٍ أنتَ أولَّ حُفْـــــرةٍ منَ الأرضِ خطَّتْ للسماحةِ موضعًا

ويا قبرَ معنٍ كيف واريتَ جودَهُ وقدْ كانَ منهُ البَرُّ والبحرُ مُتْرعًـــــا

فالغرض من تكرار عبارة (ياقبر معن) هو إظهار الحسرة والأسى على معن بن زائدة.

– طول الفصل: ويحدث هذا كثيرا في أحاديث الناس؛ لأن طول الفصل قد ينسي السامع ما كان فيه المتكلم، فيكرر العبارة لربط الكلام السابق باللاحق،

كقولك للطلبة: قلت لكم وثقتي بكم كبيرة، وظني بقدراتكم العقلية حسن، قلت لكم: إن الدرس طويل وصعب، والوقت قصير وضيق...إلخ.

ومنه أيضا قول الشاعر:

لقدْ علمَ الحيُّ اليمانُونَ أنَّنِي إذا قلتُ أمَّا بعدُ أنِّي خطيبهَا

ومثله قول الحماسي:

وإنِ امرأ دامَتْ مواثيقُ عهدهِ علَى مثلِ هـــذَا إنَّهُ كريـــمُ

حيث كرر في البيت الأول(أني) لطول الفصل بين اسم (أنني) الأولى وخبرها(خطيبها)،وفي البيت الثاني كرر(أنه) لطول الفصل بين اسم (أن) الأولى وخبرها(كريم)، ومن الأغراض أيضا : الفخر، والمدح، والتلذذ، والإرشاد، وغيرها[51].

الخلاصة: التكرار أو التكرير – مصطلحان يستعملان في علم البلاغة للدلالة على معنى واحد– هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا، وهو نوعان: تكرار في اللفظ والمعنى، وتكرار في المعنى فقط، وكل منهما ينقسم إلى قسمين: تكرار مفيد، وتكرار غير مفيد، والتكرار المفيد هو من مشاغل علم المعاني، فهو جزء من مبحث الإطناب،وله أغراض بلاغية كثيرة منها؛ تأكيد الإنذار، والتحسر، والحث على شكر النعم، والفخر، والمدح، والتلذذ، والإرشاد، وغيرها.

الهوامش:

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، د– ت، ج3، مادة (ك.ر.ر)، ص135.

[2] مجمع اللغة العربية القاهرة: المعجم الوسيط، ص782.

[3] ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مادة(ب.ي.ن)، ص406.

[4] ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ج2 ، ص345.

[5] الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ص59.

[6] السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتقديم: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1، ص332.

[7] شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ومعه منحة الجليل بتحقيق ألفية ابن عقيل: محمد محي الدين عبد الحميد، دار مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة الشرعية الوحيدة 20، 1980،ج1، ص14-16.

[8] ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص05.

[9] سورة الأنفال، الآيتان 7-8.

[10] سورة الكافرون، الآيات 1-6.

[11] ابن قيم الجوزية الحنبلي(ت751هـ):الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، طبع على نفقة محمد أمين الخانجي وشركاه بمصر والأستانة، ط1، 1327هـ، ص112.

[12] سورة البقرة، الآيتان 231- 232.

[14] ابن قيم الجوزية الحنبلي(ت751هـ):الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص112.

[15] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ج1، ص6316-632.

[16] سورة التكاثر، الآيتان 3- 4.

[18] ينظر: الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ص221- 222.

[19] سورة المدثر، الآيتان 19- 20.

[20] ينظر: ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص9- 10.

[21] ينظر: ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، مطبعة المجمع العلمي،1375، ص208- 209.

[22] ابن قيم الجوزية الحنبلي(ت751هـ):الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص116.

[23] ينظر: ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص23- 24.

[24] موضع أسفل النقيع بين الحرمين قرب حمراء الأسد من جهة المدينة المنورة.

[25] المرأة في الهودج.

[26] جمع عقيصة، خصلة الشعر مُضَفَّرة.

[27] سورة آل عمران، الآية 104.

[28] سورة البقرة، الآية 238.

[29] سورة الرحمن، الآية 68.

[30] سورة الأحزاب، الآية 72.

[31] ينظر: ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص25- 28.

[32] ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص210.

[33] رافع بن طه الرفاعي العاني: الأمر عند الأصوليين، دار المحبة ، دمشق، دار آية، بيروت، 2007، ط1، ص203.

[34] ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص29.

[35] سورة التغابن، الآية 14.

[36] سورة يوسف، الآية 86.

[37] سورة البقرة، الآية 196.

[38]ينظر:ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3 ، ص29-31.

[39] الصبا: نوع من الريح، القبول : هي الصبا وهي تقابل الدبور(القاموس المحيط الرازي)

[40] ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص210- 211.

[41] يقصد الضرورة الشعرية، وهي : "الخروج عن القاعدة النحوية والصرفية في الشعر خاصة لإقامة الوزن" . ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف: لغة الشعر: دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، القاهرة، 1996، ط1، ص10.

[42] ينظر:ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3 ، ص35- 36.

[43] سورة الرحمن، الآية 13.

[44] ينظر: رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التقنية والفنية، ص12- 14.

[45] محي الدين محتسب: التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (دراسة في البنية الدلالية لمعجم العربية)، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، د- ط، د- ت، ص9- 10.

[46] محمد محمد داود: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم لبيان الملامح الفارقة بين ألفاظ متقاربة المعنى والصيغ والأساليب المتشابهة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، د-ط، ص10.

[47] ينظر: حسن طبل: الالتفات في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، د- ط ، ص28.

[48] ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص345.

[49] ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1986، ج2، ت-ج، ص338. ينظر: بدوي طبانة : معجم البلاغة العربية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، دار الرفاعي للنشر والتوزيع والطباعة، الرياض،ط3، 1988، ص575.

[50] ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص345.

[51]سورة التكاثر، الآيتان 3-4.

[52] سورة الرحمن، الآية 13

[53] ينظر: فضل إحسان عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ص487-488. ينظر: عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص147.

مكتبة البحث:

[1] **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

[2] ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، د- ت، ج3.

[3] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004م.

[4] ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د-ت، د-ط.

[5] الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

[6] السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتقديم: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1.

[7] شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ومعه منحة الجليل بتحقيق ألفية ابن عقيل: محمد محي الدين عبد الحميد، دار مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة الشرعية الوحيدة 20، 1980، ج1.

[8] ابن قيم الجوزية الحنبلي(ت751هـ):الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، طبع على نفقة محمد أمين الخانجي وشركاه بمصر والأستانة، ط1، 1327هـ..

[9] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ج1.

[10] الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904.

[11] ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، مطبعة المجمع العلمي،1375.

[12] رافع بن طه الرفاعي العاني: الأمر عند الأصوليين، دار المحبة ، دمشق، دار آية، بيروت، 2007، ط1.

[13] محمد حماسة عبد اللطيف: لغة الشعر: دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، القاهرة، 1996، ط1.

[14] محي الدين محتسب: التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (دراسة في البنية الدلالية لمعجم العربية)، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، د- ط، د- ت.

[15] محمد محمد داود: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم لبيان الملامح الفارقة بين ألفاظ متقاربة المعنى والصيغ والأساليب المتشابهة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، د-ط.

[16] حسن طبل: الالتفات في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، د- ط.

[17] أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1986، ج2.

[18] بدوي طبانة : معجم البلاغة العربية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، دار الرفاعي للنشر والتوزيع والطباعة، الرياض،ط3، 1988.

[19] فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها،علم المعاني، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط12، 2009م.

[20] عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار الآفاق العلمية، القاهرة، ط1، 2006م.